

لاسقاطه (وجدير بالذكر ان هذا ليس الا تفسيرا شعبيا بعيدا عن الادعاء بأنه تحليل علمي دقيق للثورة الروسية) .

لكن الناحية الاقتصادية ، تقدم تفسيرا فقط وتصف الاساس أي اطار النظام الذي هو في النهاية نظام انساني . ولكي نفهم ونستوعب المعنى الكامل للاستعمار ، يجب ان نلقي نظرة على قيمة الانسان في هذا النظام ولا أعتقد بأنه سيصعب عليّ تصوير ذلك . ها أنا أرى الحقائق الواضحة التالية ماثلة أمام عيني : الظلم ، المقاساة من التمييز العنصري ، ملايين الناس المقتولين من أبناء البشرية من جانب ومن الجانب الأخر أقلية صغيرة صاحبة امتيازات هي المسؤولة عن الوضعية التي يقاسي منها أولئك الملايين . ولا بد من ان أضيف هنا المقولة التي تظل صحيحة على المستوى العالمي وان كانت ليست بذات المقدار من الوضوح في أوروبا حيث يتم توزيع بشكل أكثر تساويا ولكن هذا لا يغير الصورة العامة لوضعية الانسان داخل هذا النظام ، هذه هي الخلفية العامة للموضوع المسمى الصهيونية — دولة اسرائيل — الثورة الاشتراكية .

ان الحركة الصهيونية منذ بداية نشوئها وأعني بها الصهيونية السياسية التي أسسها هرتسل والتي رأت في الإمبريالية التي كانت أوروبا آنذاك حاميتها وراعيها ، ليست حركة تحرير قومية للشعب اليهودي كما يحاولون تصويرها وانما هي ترتيب مع المظهد (بكسر الهاء) يصبح الشعب اليهودي بموجبه محاربا مرتزقا وشرطيا لحساب راعيه في كل انحاء العالم الثالث . وكما قال هرتسل ، كان الهدف اقامة مستعمرة أوروبية في آسيا ، مستعمرة تحمي مصالح أوروبا . ومن الواضح ان تاريخ الحركة الصهيونية يعزز وجهة النظر هذه . في البداية كانت تركيا والمانيا هي الراعية للصهيونية ومن ثم حلت محلها انكلترا . وبالطبع لم تكن الامور بهذه البساطة . أقصد بذلك انه من الصعب القول ان الصهيونية كانت وما تزال مجرد أداة في أيدي القوى الكبرى الإمبريالية حيث انه كان وما زالت لها مصالحها الخاصة . وكانت خذمة مصلحة الاستعمار في المنطقة وراء الرغبة في قيامها . ومن المهم ان نشدد هنا على الفرق الكبير القائم بين الصهيونية السياسية الهرتسلية ، ومتميها ، وايزمن ، بن غوريون وبين كل حركات حب صهيون وعلى سبيل المثال حركة « احاد هعام » ، وهي التي رضعت من مصادر اخرى تماما . ان فكرة احاد هعام عن صهيون كمركز روحي كمكان لهجرة* ثقافية من الشعب اليهودي ، كطريق لاعادة ايمانه بنفسه ولتجديد حياته ليس فيها ما هو مرفوض ، وكل علاقة بينها وبين الصهيونية السياسية هي محض صدفة ، وهكذا كانت العلاقات فعلا كما هو معروف بين احاد هعام وهرتسل .

ولاثبات الموضوع المذكورة اعلاه ، الارتباط بين الصهيونية والاستعمار ، قد يكون من الضروري ان نورد هنا تاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين في الـ ٧٠ سنة الأخيرة . ولكن لا أتوي القيام بذلك حاليا وانما سأكتفي هنا بذكر عدد من المؤثرات الهامة :

أولا : وعد بلفور ، تصريح من الدولة الاستعمارية الأولى في العالم يتضمن حقيقة التبرني . تعترف بريطانيا انها تنظر بعين الرضى الى الحركة الصهيونية وتؤوي دعمها .

ثانيا : الإرهاب العربي في فترة ١٩٢٦ — ١٩٣٩ المسمى في قاموس المصطلحات الصهيونية « أحداث الـ ٣٦ » . تمرد جزء كبير من السكان العرب في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني ولكي يقمعه البريطانيون حشدوا عددا من الفرق العسكرية وهي قوة كبيرة بالمقاييس التي كان متعارفا عليها ، وما كان معروفا باسم السكان اليهود تم تجنيده لقمع هذا التمرد (أنظر كتاب « شبيثاي طبيت » ، موسى دايان) .

ثالثا : حرب ١٩٤٨ ، مؤامرة بريطانية صهيونية اشترك فيها الملك عبدالله لتقسيم الدولة

* الكلمة العبرية التي تعني « هجرة » هي ذاتها التي تعني « حج » وقد يكون المقصود المعنى الثاني للكلمة .